محتويات العدد

ص	الموضوع	المؤلف
٢	قواعد النشر في مجلة كلية المعارف الجامعة	
٣	الفهرس	
٤	الهيئة الاستشارية لمجلة كلية المعارف الجامعة	
٥	الافتتاحية	أ. د. عبد الرزاق عبد الرحمن السعدي
٧	نون التوكيد وأثرها في معاني الآيات القرآنية	أ. د. عبد الرزاق عبد الرحمن السعدي
٣٨	تسمية الموضوعات النحوية تأصيلاً واستعمالاً	د. عبد القادر عبد الرحمن السعدي
٧٨	اختلاف الحالات الإعرابية في خدمة المعنى	د. عبد الله عبد الرحمن السعدي
٨٨	أسماء الأفعال في القرآن الكريم	د. محمد جاسم الهيتي
١٢٣	تطور دلالة الألفاظ	أ. د. عبد الجبار عبد الله العبيدي
١٤٧	ملامح البحث اللغوي في تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة.	د. جاسم محمد سهيل
١٥٨	نظرات في النحو القرآني	د. شاكر شنيار بديوي
١٦٨	مشروعية قيام رمضان في جماعة (صلاة التراويح)	د. محمد عبيد الكبيسي
١٩٧	ثنائية الدين والدنيا في أدب أبي العلاء المعري	د. عبد الرحمن حميد الكبيسي
٢١٤	ستراتيجية الأمن المائي العربي وانعكاسه على الأمن الزراعي	د. كمال صالح & د. حبيب محمد
٢٢٦	مفهوم رأس المال في المذهب الاقتصادي الإسلامي	قاسم محمد حمود درويش
٢٣٧	العولمة الاقتصادية وآثارها على الواقع العربي	محمد حردان الهيتي

ملامح البحث اللغوي في تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة

د. جاسم محمد سهيل – كلية المعارف الجامعة

بسم الله الرحمن الرحيم

يعد ابن قتيبة من أبرز علماء العربية الذين خدموا التراث العربي بعامة والقرآن الكريم بخاصة من خلال دراستهم اللغوية المرتبطة بالقرآن الكريم ارتباطاً وثيقاً.

وكان كتابه ((تأويل مشكل القرآن)) خير شاهد على ذلك، إلا أنه يعد من أوائل كتب التفسير التي اعتمدت التفسير اللغوي في منهجها، وكان له عميق الأثر في بناء الصرح اللغوي وتدعيمه، كما أنه يعد من اللبنات الأولى التي أرست قواعد هذا الصرح بما انفرد به في الريادة والشمولية والدقة.

وإذا كان لا بد من تحديد السمات العامة لمنحى البحث اللغوي في كتابه ((تأويل مشكل القرآن)) فيمكن القول: إن أبرز ما يلفت النظر عند قارئه هو ثراء منهجه اللغوي بالظواهر اللغوية كالاشتقاق والإبدال واللغات التي تجلت بارزة في تحليله اللغوي المستمد من سمات العربية وخصائصها من حيث صلة المعنى بالاشتقاق ووسائله وصلة كل ذلك بالإبدال بالحروف وتنوع لهجات العرب فيه.

كما يتجلى ثراء منهجه اللغوي في عرضه لأهم المباحث الدلالية كدلالة الأضداد والدلالة السياقية للألفاظ والتراكيب والتطور الدلالي للألفاظ لا سيما أنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالتغير الدلالي الذي يصاحب اللغة في مراحل نشوئها وتطورها في مرحلة زمنية معينة أو مراحل متعددة من تاريخها.

وفضلاً عن ذلك إن منهجه لم يخل من تحليل لغوي ثاقب مستعيناً بالتعليل اللغوي في التفسير والتحليل.

وكان للملحظ الصوتي عنده حظ وافر يتجلى في ربطه بين الأصوات والمعاني من خلال الإشارة الى تقارب الأصوات في تقارب المعاني، إذ إنه يرى أن دقة المعنى تتفق مع جرس الحرف المختار فكأن هناك اختياراً مقصوداً للصوت ليؤدي المعنى المغاير لما يؤديه الصوت الأخر وهذا هو الملحظ الذي اختاره ابن جني ووسعه في مصنفاته وسار علا هديه العلماء بعد ذلك.

ومما يجدر ذكره إننا آثرنا في البحث الإيجاز دون الاستقصاء والإحصاء في سرد الظواهر وذكر الشواهد، لتعكس النظر اللغوي الثاقب عنده الذي جعله علماً بارزاً من أعلام تراثنا العربي والإسلامي...

والحمد لله رب العالمين.

ملامح البحث اللغوي في كتاب تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد على آله وصحبه أجمعين وبعد...

فقد ارتبطت الدراسات اللغوية بالدراسات القرآنية ارتباطاً وثيقاً يتأكد يوماً بعد يوماً وكتاب ((تأويل مشكل القرآن)) من هذه الكتب الذي يعد من أوائل كتب التفسير التي اعتمدت التفسير اللغوي في منهجها وكان له عميق الأثر في بناء الصرح اللغوي وتدعيمه إذ أنه يعد من اللبنات الأولى التي أرست قواعد هذا الصرح بما انفرد به في الريادة والشمولية والدقة.

وإذا كان لا بد من تحديد السمات العامة لمنحى البحث اللغوي عند ابن قتيبة في كتابه ((تأويل مشكل القرآن)) فيمكن القول إن أبرز ما يلفت النظر عند قارئه الآتي:

أولاً - الاشتقاق:

الاشتقاق حقل ذو أهمية بالغة من حقول الدراسات اللغوية وهو وسيلة من وسائل العربية الخالدة في إغناء ألفاظها، واتساع مفرداتها، والتمييز بين الأصيل والدخيل منها.

والاشتقاق هو "اقتطاع فرع من أصل يدور في تصاريفه على الأصل"[1] وقد عني ابن قتيبة كثيراً بالاشتقاق وأورد له أمثلة كثيرة منها قوله "وقد يكتنف الشيء معان فيشتق لكل معنى منها اسم من اسم ذلك الشيء كاشتقاقهم من البطن للخميص: "بطن" وللعظيم البطن إذا كان خلقة: "بطين" فإذا كان من كثرة الأكل قيل: "بطان" وللمقهو: "بطن" وللعليل البطن: "مبطون".[2]

وعندما يتحدث عن معاني الوجد يقول: وجدت الضالة، ووجدت في الحزن، ووجدت في الغضب، ووجدت في الاستغناء.

ويجعل ابن قتيبة لكل فعل من المعاني اسماً خاصاً له فالاسم في الضالة "وجوداً" وفي الحزن "وجداً" وفي الغضب "موجدة" وفي الاستغناء "وجداً".[3]

وعندما تحدث عن معنى "الآن" يقول: الآن هو الوقت الذي أنت فيه ثم نقل رأي الفراء[4] فيقول: هو حرف دل على الألف واللام، ولم يخلعا منه وتركا على مذهب الصلة لأنه في

(1) تأويل مشكل القرآن: ٥٢٣.

(2) المزهر: ١/٣٨٧.

(3) تأويل مشكل القرآن: ١٨٦-١٨٧.

المعنى واللفظ، كما رأيتهم فعلوا بالري فتركوه على مذهب الأداة، والألف واللام له لازمة غير مفارقة. ثم بعد ذلك يذكر ابن قتيبة رأيه في أصل لفظة (الآن) فيقول: "وأرى أصله: أوان حذفت منه الألف، وغيرت واوه الى الألف، كما قالوا في الراح: الرياح".[1]

ثانياً - الأضداد:

من المباحث الدلالية التي عرضها في كتابه "تأويل مشكل القرآن" بمجال الأضداد، والأضداد هو: "لفظ يطلق على المعنى ونقيضه وذلك كالجون للأسود والأبيض".[2]

وقد أورد ابن قتيبة طائفة من الألفاظ التي تندرج تحت هذا المجال منها:

١- الصريم: قال ابن قتيبة: يقال للصبح: صريم، والليل: صريم.

قال تعالى: ﴿فأصبحت كالصريم﴾ (سورة القلم:٢٠) أي: سوداء كالليل لأن الليل ينصرم عن النهار، والنهار ينصرم عن الليل.[3]

٢- السدفة: ذكر ابن قتيبة إن هذه اللفظة من الأضداد، فيقال للظلمة: سدفة. والضوء: سدفة. وأصل

(1) تأويل مشكل القرآن: ١٧.

(2) انظر تأويل مشكل القرآن: ١٧، أساس البلاغة (وحد).

(3) معاني القرآن للفراء: ١/٤٦٧.

السدفة الستر، فكأن الظلام إذا أقبل ستر للضوء، والضوء إذا أقبل ستر للظلام.[1]

٣- صارخ: ذكر ابن قتيبة أنّ هذه اللفظة من الأضداد فهي للمستغيث والمغيث، لأنّ المستغيث في استغاثته، والمغيث يصرخ في إجابته.[2]

٤- الظن: ذكر ابن قتيبة أن الظنّ لليقين والشك، لأن في الظن طرفاً من اليقين، وقد استشهد ابن قتيبة بآيات عديدة على أن الظن بمعنى اليقين[3] منها قوله تعالى: ﴿قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله﴾ (سورة البقرة: ٢٤٩) أي: يستيقنون، وقوله تعالى: ﴿إني ظننت أني ملاقٍ حسابيه﴾ (سورة الحاقة: ٢٠) وقوله تعالى: ﴿رأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها﴾ (سورة الكهف: ٥٣) وقوله تعالى: ﴿إن ظننا أن يقيما حدود الله﴾ (سورة البقرة ٢٣٠) وهذه الآيات كلها في معنى اليقين.

٥- شار وبائع: قال ابن قتيبة: "وللمشتري: شار، وللبائع: شار، لأنّ كل واحد منهما اشترى وباع وكذلك قولهم لكل واحد منهما "بائع" لأنه باع وأخذ عوضاً مما دفع فهو شار وبائع".[1] قال تعالى: ﴿وشروه بثمن بخس دراهم﴾ (سورة يوسف: ٢٠) أي باعوه، وقال تعالى: ﴿ولبئس ما شروا به أنفسهم﴾ (سورة البقرة: ١٠٢).

٦- وراء: ذكر ابن قتيبة[2] إن هذه اللفظة من الأضداد فهي بمعنى "خلف" وبمعنى "أمام" ومنها المواراة والتواري فكل ما غاب عن عينك فهو وراء، كان قدامك أو خلفك. قال تعالى: ﴿وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً﴾ (سورة الكهف: ٧٩) أي: أمامهم، وقال تعالى:

---

[1] المصدر السابق.

[2] المصدر السابق.

[3] المصدر السابق.

[1] تأويل مشكل القرآن: ١٨٧.

[2] تأويل مشكل القرآن: ١٨٨.

﴿مِنْ وراءِهِ جَهَنَّمَ﴾ (سورة إبراهيم: ١٦)

أي: أمامه.

ثالثاً - الإبدال:

وهو إبدال صوت بآخر، ويقع بين الأصوات المتقاربة في الحيز أو المخرج وبين المتباعدة كذلك والأول هو الأكثر.[١]

وقد أورد له ابن قتيبة أمثلة كثيرة فهو يقول في باب الاستعارة: "كذلك يستعيرون الحرف في الكلمة مكان الحرف فيقولون: (مدهته) بمعنى: (مدحته) لأن (الحاء) و (الهاء) يخرجان جميعاً من مخرج واحد، ويقولون: (ثوم وفوم ومغاثير ومغافير) لقرب مخرج الفاء من الثاء".[٢] ويرى أن الاتباع ما هو إلا تغيير صوتي عندما تأتي بالصفة، وتزيد توكيدها تستوحش إعادتها ثانية لأنها كلمة واحدة، فغيروا منها حرفاً، ثم أتبعوها الأولى الأولى كقولهم: (عطشان نطشان) كرهوا أن يقولوا: عطشان عطشان، فأبدلوا من العين نوناً وكذلك قولهم: (حسن بسن) كرهوا أن يقولوا: حسن حسن، فأبدلوا من الحاء ياء[٣]

وقد تبدل (الحاء) من (الهاء) لقرب مخرجيهما فيقال فرح: فره أي بطر، قال تعالى: ﴿وتَنْحِتُونَ مِنَ الجِبالِ بيوتاً فارهِينَ﴾ (سورة الشعراء: ١٤٩) أي: أشرين بطرين.[١]

رابعاً - لغات العرب:

تطرّق ابن قتيبة في كتابه "تأويل مشكل القرآن" الى ذكر لبعض لهجات العرب فقد ذكر أنَ الهذلي يقرأ (عتى حين) يريد (حتى حين) سورة المؤمنون الآية ٥٤، لأنه هكذا يلفظ بها ويستعملها.[٢]

وهذه الظاهرة، أعني قلب الحاء عيناً، تسمى الفحفحة وتنسب الى هذيل وتقيف وتكون في (حتى) فقط، إذا يقول أبو الطيب اللغوي: "اصبر حتى آتيك، وعتى آتيك"[٣] وقد ذكر ابن جني رواية في ذلك وهي: "ما روي عن عمر أنه سمع رجلاً يقرأ (عتى حين) فقال: من أقرأك؟ قال: ابن مسعود، فكتب إليه: إنّ الله ﷻ أنزل هذا القرآن فجعله عربياً، وأنزله بلغة قريش،

---

(١) الإبدال في كلام العرب: ٩/١، وينظر: المزهر: ٤٦٠/١.

(٢) تأويل مشكل القرآن: ٣٠٣.

(٣) تأويل مشكل القرآن: ٢٣٦-٢٣٧.

(١) تأويل مشكل القرآن: ٢٣٧.

(٢) تأويل مشكل القرآن: ٤٩١.

(٣) المزهر: ٢٢٢/١.

فأقرئ الناس بلغة قريش، ولا تقرئهم بلغة هذيل، والسلام".[1]

ومما أورده في شأن لهجات العرب لهجة بني أسد الذين يكسرون حرف المضارعة فهو يقول: والأسدي يقرأ: تِعلمون ويِعلم، و﴿تَسود وجوهٌ﴾ (سورة آل عمران: ١٠٦).[2]

وذكر أيضاً أنّ التميمي يهمز والقرشي لا يهمز، والآخر يقرأ ﴿وإذا قيلَ لهم﴾ (سورة البقرة: ١١) ﴿وغيضَ الماءُ﴾ (سورة هود: ٤٤) بإشمام الضم مع الكسر و﴿مالَكَ لا تأمنّا﴾ (سورة يوسف: ١١) بإشمام الضم مع الإدغام، وهذا ما لا يطوع به كل لسان.[3]

ويرى ابن قتيبة إن تعدد لغات العرب هي رحمة من عند الله فكل إنسان ينطق بما تعلم من لغته فلا يمكن أن يتخلى عنها بسهولة فهو يقول: "ولو أنّ كل فريق من هؤلاء أمر أن يزول عن لغته، وما جرى عليه اعتياده طفلاً وناشئاً وكهلاً لاشتدّ ذلك عليه، وعظمت المحنة فيه، ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة، وتذليل للسان وقطع للعادة، فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل لهم متسعاً في اللغات، ومتصرفاً في الحركات، كتيسره عليهم في الدين".[1]

خامساً - الاهتمام بالدلالة السياقية:

السياق هو " الموقع الذي ترد فيه اللفظة في الجملة أو هو الأسلوب الذي ترد فيه اللفظة فتكتسب دلالتها من ذلك الأسلوب، وقد ترد في سياق آخر فتكتسب دلالة أخرى".[2]

ومن أمثلة ذلك عند ابن قتيبة مجيء لفظة "الرحمة" في سياقات مختلفة، فتختلف دلالتها باختلاف السياق الذي ورد فيه. فقد وردت في سياق الآية الكريمة ﴿وأمّا الذينَ ابيضّت وجوههم ففي رحمةِ اللهِ هُم فيها خالدون﴾ (سورة آل عمران: ١٧١) فدلت أنّ المراد بالرحمة هي الجنة، سماها رحمة لأنّ دخولهم إياها كان برحمته.

وجاءت في سياق الآية الكريمة ﴿وهوَ الذي يُرسل الرياحَ بُشراً بينَ يدي رحمتِهِ﴾ (سورة الأعراف: ٥٧) فدلت على أنّ المراد بالرحمة هنا (المطر).

---

(١) المحتسب: ١/٣٤٣.

(٢) تأويل مشكل القرآن: ٣٩.

(٣) تأويل مشكل القرآن: ٣٩.

(١) تأويل مشكل القرآن: ٣٩-٤٠.

(٢) منهج الخليل في دراسة الدلالة القرآنية: ١٦٢.

وجاءت في سياق الآية الكريمة:

﴿قُل لو أنتم تَملِكون خَزائِنَ رحمةِ ربي﴾ (سورة الإسراء: ١٠٠) فدلت على أن المراد بالرحمة مفاتيح رزقه.

وجاءت في سياق الآية الكريمة:

﴿ما يفتَحِ اللهُ للناس من رحمةٍ فلا مُمْسِكَ لها﴾ (سورة فاطر: ٢) فدلت على أن المراد بالرحمة هنا الرزق.[1]

وقد اهتم ابن قتيبة اهتماماً كبيراً في هذا المجال فخصص باباً واسعاً لدراسة الدلالة السياقية لألفاظ كثيرة وردت في القرآن الكريم بلغ مجموعها أربعاً وأربعين لفظة[2] أذكر منها بعض الألفاظ على سبيل التمثيل والإشارة منها لفظة (الهدى) فقد ذكر ابن قتيبة أن أصل (الهدى) الإرشاد كقوله تعالى:

﴿عسى ربي أن يهديَني سواء السبيل﴾ (سورة القصص:٢٢) وقوله تعالى: ﴿اهدِنا الى سواء الصراط﴾ (سورة ص: ٢٢) أي أرشدنا.

وجاءت في سياق الآية الكريمة:

﴿وأمّا ثمودُ فهَديناهُم﴾ (سورة فصلت: ١٧) فدلت على أن المراد بالهدى، البيان أي بينا لهم، ومثل قوله تعالى: ﴿أوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أهْلَكْنا﴾ (سورة السجدة: ٢٦) أي أو لم يبين لهم.

وقد يأتي الإرشاد بمعنى الدعاء كقوله تعالى: ﴿ولكلِّ قومٍ هادٍ﴾ (سورة الرعد: ٧) أي نبي يدعوهم، وقوله تعالى: ﴿وجَعَلْناهُم أئمّة يهدون بأمرنا﴾ (سورة الأنبياء: ٧٣) أي يدعون.[1]

وذكر هارون بن موسى سبعة عشر وجهاً للفظة الهدى[2] منها: الهدى تعني الإيمان وذلك في قوله تعالى: ﴿ويزيدُ اللهُ الذين اهتدوا هدىً﴾ (سورة مريم: ٧٦) أي يعني إيماناً، وقوله تعالى: ﴿أنَحْنُ صَدَدْناكُم عن الهدى﴾ (سورة سبأ: ٣٢) وتكون بمعنى المعرفة كقوله

---

[1] انظر معاني (الهدى) في تأويل مشكل القرآن: ٤٤٣-٤٤٤.

[2] الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: ٢٨-٣٢.

[1] تأويل مشكل القرآن: ١٤٥-١٤٦.

[2] ذكر ابن قتيبة هذه الألفاظ تحت باب اللفظ الواحد والمعاني المختلفة. ينظر: ص٤٣٩-٥١٥.

تعالى: ﴿وعلاماتٍ وبالنجمِ هُم يهتدون﴾ (سورة النحل: ١٦).

ومن الألفاظ التي درسها ولها أكثر من معنى بحسب السياق التي تأتي في لفظة (الأمة) فقد ذكر ابن قتيبة إن المعنى الأصلي للأمة هو الصنف من الناس والجماعة كقوله ﷻ: ﴿كانَ الناسُ أمّةً واحدةً﴾ (سورة البقرة: ٢١٣) أي صنفاً واحداً في الضلال ﴿فبعثَ اللهُ النبيين﴾.

ثم تصير الأمة: الحين كقوله تعالى: ﴿وادَّكَرَ بعدَ أمةٍ﴾ (سورة يوسف: ٤٥)، وجاءت في سياق الآية الكريمة: ﴿إنَّ إبراهيمَ كانَ أمّةً قانتاً للهِ حنيفاً﴾ (سورة النحل: ١٢٠) فدلت على أنّ المراد بالأمة: الإمام والرباني. وقد تكون الأمة جماعة العلماء كقوله: ﴿ولتكُنْ منكم أمةٌ يدعون الى الخير﴾ (سورة آل عمران: ١٠٤).

وتأتي بمعنى الدين كقوله تعالى: ﴿إنّا وجدنا آباءَنا على أمةٍ﴾ (سورة الزخرف: ٢٢) أي على دين.[1]

ومن الألفاظ التي لها أكثر من معنى لفظة (العهد) فهي بمعنى الأمان في قوله تعالى: ﴿فأتموا إليهم عَهدَهم الى مدّتِهم﴾ (سورة التوبة: ٢٤) وبمعنى اليمين في قوله تعالى: ﴿وأوفوا بعهدِ اللهِ إذا عاهدْتُم﴾ (سورة النمل: ٩١) وبمعنى الألوهية في قوله تعالى: ﴿ألَمْ أعْهَدْ إليكم يا بني آدمَ﴾ (سورة يس: ٦٠) وبمعنى الحفاظ في قوله ﷺ: {إنّ حُسْنَ العهدِ منَ الإيمان}.[2]

وبمعنى الزمان يقال: كان ذلك بعهد فلان.[3]

ومن الألفاظ التي أوردها ابن قتيبة التي تختلف دلالتها باختلاف

---

(١) تأويل مشكل القرآن: ٤٤٥، وانظر: الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: ٦٤-٦٥.

(٢) ينظر تخريج الحديث عند مخفف تأويل مشكل القرآن: ٤٤٧.

(٣) تأويل مشكل القرآن: ٤٤٧.

السياق التي تكون فيه لفظة (الضر) قال ابن قتيبة: "الضر - بفتح الضاد- ضد النفع".[1] واستشهد لذلك بقوله تعالى: ﴿هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعون أو يضرون﴾ (سورة الشعراء: ٧٣).

ثم يتغير معناها بحسب السياق التي ترد فيه. فالضر: الشدة والباء في قوله تعالى: ﴿إن يمسسك الله بضر﴾ (سورة الأنعام: ١٧).

وبمعنى قحط المطر في قوله تعالى: ﴿وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء﴾ (سورة يونس: ٢١).

وبمعنى الهول في قوله تعالى: ﴿وإذا مسكم الضر في البحر﴾ (سورة الإسراء: ٦٧)، وبمعنى المرض في قوله تعالى على لسان أيوب عليه السلام: ﴿إني مسني الضر﴾ (سورة الأنبياء: ٨٣).[2]

سادساً - التطور الدلالي:

اهتم ابن قتيبة في كتابه (تأويل مشكل القرآن) بتطور دلالة بعض الألفاظ منها لفظة (الاستراحة) فقد ذكر إن أصل الاستراحة أن تكون في معاناة شيء يصبك ويتعبك، فتستريح.

ثم ينتقل ذلك فتصير الاستراحة بمعنى الفراغ. نقول في الكلام: استرحنا من حاجتك وأمرنا بها. تريد فرغنا، والفراغ، أيضا يكون من الناس بعد شغل.

ثم ينتقل ذلك فيصير في معنى القصد للشيء، فتقول: لئن فرغت لك، أي قصدت قصدك.[1]

ويعطينا ابن قتيبة أصل لفظة (كافر) عندما تحدث عن قوله تعالى: ﴿كمثل غيث أعجب الكفار نباته﴾ (سورة الحديد: ٢٠)، يقول: يريد الكفار هنا: الزرّاع، وأحدهم كافر. وإنما سمي كافراً لأنه إذا ألقى البذر في الأرض بحفرة، أي غطاه، وكل شيء غطيته فقد كفرته، ومنه قيل: تكفر فلان في السلاح: أي تغطى ومنه قيل لليل كافر، لأنه يستر بظلمته كل شيء. ومنه قول لبيد:[2]

---

[1] تأويل مشكل القرآن: ١٠٤-١٠٥.

[2] شرح المعلقات السبع للزوزني: ٢٣٦.

---

[1] المصدر نفسه: ٤٤٧.

[2] المصدر نفسه: ٤٨٣.

يعلو طريقَهُ منهياً متواتراً

في ليلةٍ كفرَ النجومَ غمامُها

أي: غطاها.[1]

سابعاً – التعليل اللغوي:

نجده أحياناً يعلل تسمية بعض الألفاظ تعليلاً لغوياً. من ذلك ما ذكره في تفسير الصاعقة والصعق. قال: والصاعقة: نار من السحاب. واستشهد لذلك بقوله تعالى: ﴿ويُرْسِلُ الصواعقَ فيُصيبُ بها مَنْ يشاءُ﴾ (سورة الرعد: ١٦).

وقد علل ابن قتيبة ذلك بقوله: "واراها سميت صاعقة لأنها إذا أصابت قتلت، يقال: صعقتهم، أي قتلتهم.[2]

ثامناً – تقارب الألفاظ لتقارب المعاني:

يرى ابن قتيبة أن دقة المعنى تتفق مع جرس الحرف المختار، فكأن هناك اختياراً مقصوداً للصوت ليؤدي المعنى المغاير لما يؤديه الصوت الآخر، فقد ذكر إن (النضح) يستعمل للشيء القليل، فإذا زاد ذلك الشيء قيل نضح فهو يقول: "وكقولهم لما أرفض على الثوب من البول إذا كان مثل رؤوس الإبر"، (نضح) ورش الماء عليه يجزئ من الغسل، فإن زاد على ذلك قليلاً قيل له (نضخ) ولم يجزئ فيه إلا الغسل.[1]

وقد فرق الزمخشري بين معنى نضح ونضخ فقال: "نضح عليه الماء، ونضخ البيت نضحاً وهو الرش. ونضخ جلده بالعرق".

أما نضخ فهي تعني: ﴿عينانِ نَضّاخَتانِ﴾ فوارة بالماء، وغيث نضاخ غزير.[2]

ومما أورده ابن قتيبة في هذا الباب قولهم للقبض بأطراف الأصابع (قبص) وبالكف (قبض) والأكل بأطراف الأسنان: (قضم) وبالفم: (خضم).[3]

وقد درس هذه المسألة أيضاً ابن جني وخصص لها مبحثاً سماه: باب أساس الألفاظ أشباه المعاني.[4]

وقد يفرق ابن قتيبة بين المعنيين المتقاربين بتغيير حرف في الكلمة قال ابن قتيبة: "وقد يفرقون بين المعنيين المتقاربين بتغيير حرف في الكلمة حتى

---

(١) تأويل مشكل القرآن: ٧٥-٧٦.

(٢) تأويل مشكل القرآن: ٥٠١.

(١) تأويل مشكل القرآن: ١٦.

(٢) أساس البلاغة: نضح، نضخ.

(٣) تأويل مشكل القرآن: ١٦.

(٤) الخصائص: ٢/١٥٤.

يكون تقارب ما بين اللفظين، كتقارب ما بين المعنيين كقولهم للماء الملح الذي لا يشرب به إلا عند الضرورة: (شروب) ولما كان دونه من ماء مما قد يتجوز به: (شريب)".[1]

وقد أورد أمثلة كثيرة من هذا النوع من ذلك قولهم: (لما ارتفع من الأرض) (حزن) فإن زاد قليلاً قيل (حزم) وللنار إذا طفئت (هامدة) فإن سكن اللهب وبقي حجرها شيء قيل: (خامدة).[2]

هذه أبرز ملامح البحث اللغوي في كتاب (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة، وقد آثرنا الإيجاز دون الاستقصاء والإحصاء في سرد الظواهر وذكر الشواهد...

والحمد لله رب العالمين.

[1] تأويل مشكل القرآن: ١٦.

[2] تأويل مشكل القرآن: ١٦.

روافد البحث

بعد كتاب الله..

١- الإبدال - لأبي الطيب اللغوي - تحقيق عز الدين التنوخي - مطبعة الترقي - دمشق - ١٩٦١.

٢- أساس البلاغة - الزمخشري - تحقيق الأستاذ عبد الرحيم محمود - دار المعرفة - بيروت - ١٩٣٩هـ/١٩٧٩م.

٣- تأويل مشكل القرآن - لابن قتيبة - تحقيق السيد أحمد صقر - ط٣ - المكتبة العلمية - بيروت - ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٤- الحدود في النحو - للرماني - تحقيق د. مصطفى جواد ويوسف يعقوب - ضمن كتاب (رسائل في النحو واللغة) - دار الجمهورية - بغداد - ١٩٦٩.

٥- الخصائص - لأبي الفتح عثمان بن جني - تحقيق محمد علي النجار - ط٤ - دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد - ١٩٩٠.

٦- شرح المعلقات السبعة - الزوزني - مطبعة النقاء - بغداد - (د.ت.)

٧- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات - ابن جني - تحقيق علي النجدي ناصف وزميله - القاهرة - ١٣٨٦هـ.

٨- المزهر في علوم اللغة وأنواعها - السيوطي - تحقيق محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة - عيسى البابي الحلبي.

٩- معاني القرآن - الفراء - عالم الكتب - بيروت - (د.ت.).

١٠- منهج الخليل في دراسة الدلالة القرآنية في كتابه العين - د. أحمد نصيف - بحث منشور ضمن مجلة (المعجمية العربية) - مطبعة المجمع العلمي العراقي - ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

١١- الوجوه والنظائر في القرآن الكريم - هارون بن موسى - تحقيق الدكتور حاتم الضامن - دار الحرية للطباعة - بغداد - ١٩٨٨.